

المصيدة

فى البدء استمىح القارئ عذراً فى الأستشهاد بآراء سابقه كتبتهأ فى هذا السىاق وفى هذه الصخيفة وفى بداية هذه السلسله من المقالات المتفرقة حتى لا أقفز من المقدمات الى النتائج أو اتجاوز البرزخ التاريخى فى رحلتى مع الأحداث فى هذه المشاهد المكثفة فى روية واسعة لأكبر قضايا الوطن .. الحرية .. والوحدة والمصير كتبت فى عام 2000 وقبل انطلاق مراتون ماشاكوس أقول (أننا يجب ان نتجاوز خلافاتنا بارادتنا .. وقناعتنا ان الحرب حول الشمال والجنوب والغرب والشرق قد ينتهى بنا الى ان نفقد السودان كله .. والفقد ليس بالضرورة مادياً .. وجغرافياً .. وانما معنوياً .. وسياسياً وفى مقالة بعد اتفاقيات ماشاكوس سردت واقعة زيارة المسؤل الكبير الذى زارنا فى مدينة أبوظبى فى المستشارية الاقتصادية وحدثنا عن اتفاقية السلام .. وتعرض فى ايجاز الى مشكلة دارفور .. وطلبت منه ان تتبنى الحكومة موقفاً موحداً تجاه مناطق النزاع المختلفة فى سلة واحدة .. قبل ان تدول .. وتخرج من السيطرة .. وحذرت من مواقف اليوم ويسؤنى ان تصدق نبؤتى فى هذا الشأن .

وكتبت قبل بضعة أسابيع بعد الاحتفال باتفاقية السلام عن ثقافة السلام واكدت عن ضرورة الحىطة والحذر ونحن نسير فى (الدهليز المظلم وتتطاير حولنا القرارات والسهام الطائشة حتى تتعثر المفاوضات وتتعطل المسيرة .. وو...

وحتى نتخطى البرزخ التاريخى فى الصراع بين القطبين السابقين عندما نتذكر مظاهرات عمال رابطة تضامن) فى بولندا .. بقيادة النقابى البولندى ((ليس فاليسيا فى دارسو .. والتى كانت بداية انهيار جدار برلين .. وكان مخططا مدروسا بعناية فائقة ودقة منقطعة النظير كانت على أكبر المتطرفين والمفكرين فى حقوق الأنسان .. عندما طالب القطب الآخر باحترام الديمقراطية بالضغط على الحكومة لينتصر الزعيم النقابى البولندى وتسقط الحكومة ويسقط الجدار ليستلم حائزه رئيسا للدولة الجديدة . ويتعلل الاتحادى السوفيتى .. وينقرض عقد خلف دارسو .. لتسقط حكوماته واحدة بعد الأخرى كحبات اللؤلؤ فى عقد حلف الناتو وتضحك الاقدار هكذا تضيع القرارات المصيرية فى الكواليس الخلفية وينتقل الناس لقمة جبل الجليد العائم تحت أمواج البحر العميق حتى تصدم السفينة ويفرق الجميع وحتى لا يقع التنين الصينى .. المصيدة عندما جمع الطلاب يطالبون بالحرية فى الميدان الاحمر فى بكين واقامت امريكا الدنيا ولم تقعهها مطالبة الاستجابة لمطالبهم بالاصلاح ولم يفت على الزعيم الصينى العجوز ان يذكرهم بأن لا للعبة قديمة) وان الرهان على تغيير النظام تحت مظلة حقوق الأنسان لن تنطلى على ديناصورات الحكم الشمولى وذكروا للأب بوش محادثة انزال الجيش الى لوس انجلس مدينة (الملائكة) عندما خرج السود فى مظاهرات مناصفة للعنصرية وضرب (رودنى كنج) الزنجى الأسود تحت حراوات بعض البيض من أفراد الشرطة .

ومن غرائب الصدف ان كنت فى ذلك اليوم فى طريقى الى سان فراسيسكو فى ولاية كاليفورنيا قادماً من لندن حيث حضرت محاضرة للشيخ الدكتور الترابى (قائمة فى الكلية الملكية للأدب والفنون) فى لندن تنبأ فيها بانهيار امريكا من الداخل تحت جحافل المستضعفين .. وانتهت العاصفة السياسية شأنها شأن الكوارث الطبيعية والعواصف التى تعيشها كاليفورنيا كل عام .. واجتازت الصين محنة الاختبار وخرجت من المصيدة التى وقع فيها الكبار والصغار . خاصة فى العالم الثالث والذى لا يقرأ ولا يتعلم من التاريخ .

وكان أكبر هؤلاء .. والذى رئيسة فى ايامة الأخيرة وهو يلفظ انفاصة الاخيرة فى الحكم فى داخل المصيدة ليعلن للعالم أجمع فى التلفاز انة لا يملك أسلحة دمار شامل بعد ان بلغ السيل الزبى وبلغت الروح الحلقوم .. ومازال يعارض (التفتيش) ويضع له الشروط) .. والفك المفترس يحكم قبضته على أطراف السواق المحترف بعد أن تجاوزته الاحداث وأصبح الغزو واقعاً لا محالة.

لقد قال الشاعر المتنبى

ومن نكد الدنيا على المرء ان يرى عدوا له ما من صداقته بد

فأذا جاز هذا الرأى على خريطة العالم .. فى جغرافيا العولمة الحديثة فنحن لسنا خارج الكرة الأرضية ومنذ ان دخل بوش الى افغانستان واعلن ميلاد النظام العالمى الجديد .. والحبلى على الجرار .. كل الذين راهنوا على السياحة ضد التيار اما غرقوا فى بحار الدماء .. أو حملوا سيوفهم مع على وقلوبهم مع معادية .. وضرب زلزال النظام الجديد على المنطقة ... ولما كانت القرارات تطخ فى مراكز الدراسات الدولية المتخصصة فى شئون كل منطقة كانت الخطط تخرج فى طبق من ذهب فى المائدة المستديرة فى مجلس الأمن الذى أصبح أكبر أدوات الأرهاب .. ولما عرف ان الشعوب تضع الضم .. فى العالم الثالث وان الأحكام تسلب ارادة الشعوب .. وجنهم شطر بغداد .. وبدأ مسلسل القرارات أحادية الجانب .. وأنطلقت المعايير المزدوجة تحت مظلة الشرعة الدولية عليها .. والمنقوصة المصادقية .. والمبوذة بالطاعون .

عود على بدء .. لقد قال الرئيس الامريكى فى الأسابيع الأخيرة ان الفراق سيكون نموذجاً من ايران الى بيروت .. ولم يذكر سوريا وحتى لا يفسد خطى الانسحاب الجدى على قدم وساق .. ويتأهب الطهارة فى برلمان العالم الحديدى (الكونجرس الامريكى) لاحياء قرار معاقبة أو محاسبة سوريا التى تعاملت مع هذه المصيدة بقدر من سعة الأفق وفن الدبلوماسية شل حركة القرار فى كل الاتجاهة .. ولم يذكر السودان .. وحيو من ال اعضاء لان القرار الاخير كان يدور فى كواليس مراكز البحوث الاستراتيجية .. وفرز التعاضض فى محكمة لاهى .. والامم المتحدة .. ومجلس الأمن .. والاتحاد الاروبى .. كيف تتجمع كل هذه الاضداد فى بقعة نائية فى خريطة منسية فى قلب افريقيا تسمى (دارفور) ولكنه حدث .. وللاننا فى زمن العجائب .. فيجب ان نفتح

عيوننا فى الظلام .. قبل الضوء .. ونرهدف آذاننا فى صمت .. قبل الضوضاء حتى نستطيع الحركة فى كل الاتجاهات .

لقد كان جميلاً أن يضىء الراى العام السودانى .. وعهدى بالسودانيين جمعيعهم أنهم لا تحتاجون الى محرض ساعة الحارة .. فى الدفاع عن الوطن .. خاصة ضد الغريب .. ولو كان من الجار الصديق او العدو البعيد .. وقد تكون تشبثت على مقولة (أنا وأخوى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب) قد أتت ثمارها فى كل الازمات .. ولكن يجب ان نمارس قدراً أكبر فى ضبط النفس فى المستوى القيادى العقلانية مفرطة فى كبح جماح الانحدار خلف حملة الاستفزاز والتشهير التى تضعف قوة العقل مثقال ذرة فى كفة الترجيح كافية لانفلات ميزان الأمور .. على أعلى المستويات .

لا أحد عاقل فى الدنيا يرفض مبدأ محاكمة المتهم .. والذى هو برئ حتى تثبت أدانته ولا أحد يقبل الدفاع عن مرتكبى جريمة مهما كان لون وطعم وحجم هذه مبادئ حتى وأن كانت قلة حق يراد بها باطل ولكن الشيطان فى التفاصيل .. أنها مصيدة رقم 1559 .. قد دفعنا فيها جميعاً وحتى لا ندفع الثمن مقدماً والشروط قاسية تطال الجميع علينا ان نبطل مفعول هذه العبوة المتفجرة بقبول المبادئ فى البداية عملاً بقناعة (من غير الطبيعى أن تكون طبيعى فى ظروف غير طبيعية) وندور معهم فى فلك النوابين وأروقة المؤتمرات .. وسنجد ان هذا القرار يحمل فى طياته عناصر وفاته .. لانه بنى عن باطل وما بنى على باطل أساسه الزوال .. بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالانفصال .

وأخيراً .. لبيت قدرتنا على الاجتماع والاجماع حول قضايا الوطن ازاء التهديدات الخارجية تقابلها قدرة مماثلة فى الأتحاد والتوحد حول مصير الوطن ازاء الانقسامات الداخلية التى ظلت تعصف بمستقبله منذ فجر الاستقلال .

ولنا عودة باذن الله .